تعلق قاتل
بسمة عليوش
روايَة

تعلّق قاتل

رواية قصيرة نفسية واقعية

بقلم بسمة عليوش

دار نشر : دار التمييز الثقافية للنشر الإلكتروني

رقم الدولي: EBIN63-43-50-250714

رقم الطبعة : الأولى

سنة النشر:2025

جميع الحقوق محفوظة © [2025]

لا يجوز نسخ أو إعادة نشر هذا العمل كليًا أو جزئيًا بأي وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو مطبوعة، دون إذن خطي من المؤلف.

ليان لم تكن تبحث عن حب عادي. كانت تبحث عن خلاص يشبه الحلم، عن يد تقول لها إنها تستحق الحياة. لكنها لم تعرف أن أقسى الأقدار تبدأ أحيانًا من حاجة صغيرة لا نعترف بها. هذا هو فخ التعلق.

ولـــدت ليـــان فـــي بيـــت ضـــيق، جدرانـــه قديمـــة تتشـــقق مـــع المطـــر، وســـقفه ينـــزّ فـــي الليـــالي البـــاردة. لكـــن البـــرد لـــم يكـــن أكثر ما يخيفها... كان الصمت أشد قسوة من أي ريح.

كـــان والـــدها رجـــلاً يعتقـــد أن الصـــرامة هـــي الفضـــيلة الوحيـــدة التي تُنشئ أبناء ناجحين.

يخـــرج قبـــل شـــروق الشـــمس ولا يعـــود إلا بعـــد المغيـــب، محملًا بالضيق والإنهاك.

وإن حـــدّثها، لـــم تكـــن كلماتـــه تتجـــاوز الســـؤال عـــن علامـــات امتحانها أو لماذا تأخرت عن موعد الغداء.

أمـــا أمهـــا، فلـــم تكـــن قاســـية، لكنهـــا كانـــت مشـــغولة بتعـــبٍ لا ينتهي:

تنظيـــف، غســـيل، طهـــو، حســـاب النقـــود القليلـــة التـــي بالكـــاد تكفي أسبوعًا.

حـــين كانـــت ليـــان تحـــاول التســـلل إلـــى حضـــنها، تهمـــس لهـــا الأم بوجه حزين:

- "ليس الآن يا ليان... عندي ألف شيء."

ثـــم تتركهـــا واقفـــة قـــرب البـــاب، يـــداها معلقتـــان فـــي الهـــواء كغصنين بلا ثمر.

كبرت ليان وسط هذا الفراغ العاطفي.

تعلمت أن لا تشتكي، ألا تبكي أمام أحد.

حين كانت تعود من المدرسة محملة بالحقائب الثقيلة، لم يكن أحد ينتظرها ليسألها كيف مرّ يومها.

كانت تخلع حذاءها وتجلس على السجادة القديمة، تتأمل الشقوق في الجدران كأنها تبحث عن تفسير لهذا البرود.

في المناسبات القليلة التي ابتسم فيها والدها، كانت تشعر بارتباك:

تسأل نفسها هل ابتسم حقًا أم أن خيالها اخترع ابتسامته كي تطمئن؟

في كل عيد ميلاد، لم يلتفت أحد ليقول لها "كل عام وأنت بخير".

مرة صنعت لنفسها كعكة صغيرة من الخبز والسكر، وضعت شمعة قديمة، وأطفأتها وهي تتمنى لو يلمس أحد قلبها بكلمة.

وحين كانت تسمع جاراتها ينادين على بناتهنّ بعبارات حب بسيطة، كانت تغمض عينيها وتردد في سرّها:

- "يا رب، لو مرة واحدة... يقول لي أبي إنه فخور بي."

لكن ذلك لم يحدث.

حتى الجوائز المدرسية واللوحات التي رسمتها ظلت مركونة في صندوق خشبي تحت سريرها.

لم يعلق والدها لوحة، لم يصفق لها أحد، ولم تجد من يمسح على شعرها يومًا.

مع الوقت، لم تعد تنتظر.

لكن الحرمان لا يموت حين تكفّ عن طلبه... بل يظل مختبئًا في صدرك ينتظر لحظة ضعف.

كانت ليان تعرف ذلك الشعور جيدًا.

كان يرافقها كظل بارد لا ينفصل عنها.

يكبر كلما كبرت.

ويمد يده إلى قلبها في الليل، فيذكّرها بأنها وحدها... تمامًا.

حين بلغت ليان التاسعة عشرة، كانت تظن أنها صارت أكبر من ذلك النقص القديم في صدرها.

لكـــن الحقيقـــة أن جـــروح الطفولـــة لا تنـــدمل بالنضـــج ولا بالتجاهـــل... بـــل تنمـــو معـــك، مثـــل جـــذور شـــجرة خبيثـــة تحفر التربة في الخفاء.

فـــي أيامهـــا الأولـــى فـــي الجامعـــة، لـــم تكـــن تعـــرف كيـــف تتصرف بين زميلاتها.

كانـــت تـــراقبهنّ وهـــن يضـــحكن ويمـــزحن، فتشـــعر بشـــيء يشبه الغربة.

كـــان قلبهـــا مســـتعدًا دومًـــا أن ينســـحب، أن يختبـــئ، أن ينكمش مثل طفل خائف.

ذات صـــباح رمـــادي، وبينمـــا كانـــت تقـــف فـــي ممـــر الكليـــة تنتظر أستاذها، شعرت بأنفاس أحدهم قريبة من كتفها.

التفتت، فرأت حسام.

شـــاب طويـــل القامـــة، عينيـــه واســـعتان، يضـــع ســـماعات فـــي أذنيه.

ابتسم لها وقال بصوت ناعم:

ـ "صباح الخير... أنتِ في السنة الثانية، صح؟"

لم تعرف كيف ترد، فقط أومأت برأسها.

رأته يحدق في عينيها أكثر من اللازم.

في تلك النظرة الأولى، حدث شيء لم تفهمه وقتها:

ذلك الفراغ القديم في صدرها تحرك فجأة، كأنه تذكر أنه ما زال ينتظر أحدًا ليملأه.

مرّ أسبوع كامل بعد ذلك اللقاء، كانت تراه يمرّ قربها كل يوم، يلوّح بيده، يبادلها ابتسامة قصيرة.

في الليل، حين كانت تتمدد على سريرها، كانت تراجع تفاصيل وجهه، تراقب كيف تلتقي ابتسامته بنظراته.

كانت تسأل نفسها:

ـ "لماذا أنا؟ لماذا يختار أن يبتسم لي دون كل هؤلاء؟"

لكن عقلها الباطني كان يهمس بإجابات أخرى:

"لأنك تحتاجين أن يراك أحد... أي أحد."

في إحدى الأمسيات، جاء وجلس قربها في حديقة الكلية.

كان النسيم بارداً، وأوراق الشجر تتساقط من حولهما.

قال لها:

ـ "هل تحبين الخريف؟"

ردّت بخجل:

ـ "أحبه... لكنه يشعرني بالوحدة."

ابتسم ابتسامة دافئة، مسح بيده على ظهر مقعدها، وقال:

ـ "الوحـدة شـيء قـاسٍ... كنـت أظـن أننـي وحـدي مـن يشـعر بها."

كانـت جملتـه تلـك، ببسـاطتها، مثـل مفتـاح سـري فـتح بابًـا قديمًا داخلها.

في داخلها، كان صوت صغير يصرخ:

"هـو يفهمـك... هـو الوحيـد الـذي يعـرف كيـف تبدو الوحدة."

علم النفس يسمّي هذا "الارتباط القائم على النقص":

حـين لا تـتعلم الحـب الآمـن وأنـت صـغير، يصـبح الاحتيـاج هو عدستك الوحيدة، وترى العاطفة حتى في ظلّ عابر.

وهذا ما حدث لليان.

لـم تكـن تحبـه حقًـا فـي تلـك اللحظـة،كانت تحـب أن أحـدًا انتبه لوجودها.

مرت أسابيع، وصارت تتعلق به أكثر.

كان يرسل رسائل قصيرة في الليل:

"هل تناولتِ عشاءك؟"

"اشتقت أن أحادثك."

تقرأها وهي تبتسم وتضع الهاتف على صدرها وفي كل مرة، يزداد في عقلها الباطني يقين غريب:

"إذا خسرته... سأعود كما كنت: لا شيء."

كانت تلك الفكرة أول سلسلة قيّدتها دون أن تدري.

ذات مرة، حدث ما يشبه الاعتراف الأول كانا جالسين في مقهى صغير، يشربان الشاي.

قال لها بنبرة مترددة:

ـ "أشعر أنك مختلفة... أنك قريبة مني أكثر من أي أحد."

جمدت يداها.

انتظرت تلك الكلمات سنوات كاملة.

في داخلها، طفلة صغيرة كانت تبكي، تمد يديها نحو صدره.

أجابت بصوت مخنوق:

ـ "وأنا... لم أشعر مع أحد بما أشعره معك."

حين عاد إلى بيته تلك الليلة، كان قلبها يضجّ بنشوة عجيبة.

لكنها لم تعرف أن الاحتياج لا يُشبع بالوعود، وأن الحب الذي يبدأ من الخوف... لا ينتهي بخير.

في علم النفس، يسمّون هذا "الارتباط القلق":

حيث تبحث عن الحب كأنك تبحث عن أكسجين، وتخشى أن يختفي في أي لحظة.

تظن أن كل علامة اهتمام هي دليل حب، وكل تأخير في الردّ خيانة.

وهكذا، أصبحت ليان أسيرة نفسها قبل أن تكون أسيرة حسام.

كانت تقرأ في عينيه وعدًا غير منطوق:

"سأملأ نقصك... سأعوّض كل ما فاتك."

لكن الحقيقة أن وعود الحرمان ليست إلا مرايا مشروخة، تعكس لك ما تتمنى لا ما هو حقيقي.

في تلك الأيام الأولى، كانت ليان تشعر بالسعادة كأنها ولدت من جديد.

لكن في مكان عميق منها، ظلّ سؤال لم يختفِ:

- "هل يحبني... أم يحب ضعفي؟"

كانــت تخنــق الســؤال كــل مــرة، لأن الجــواب قــد يقتــل حلمهــا الوحيد.

مــرت أســابيع كانــت بالنســبة إلــى ليــان أشــبه بحلــم دافــئ... حلم لم تجرؤ يومًا أن تتخيله.

صارت تستيقظ كل صباح على رسالة منه:

"صباح الخير يا أجمل ما لدي."

وحين تتأخر في الردّ، يأتي بعدها سؤال:

"لماذا لا تجيبين؟ هل نسيتِ أنني أحتاجك؟"

في البداية، كانت تعتبر سؤاله دليل محبة.

ثم شيئًا فشيئًا، صار السؤال يتحول إلى عتاب:

"أنتِ لا تهتمين بي كما أفعل... لماذا؟"

في كل مرة كانت تشعر بوخز خفي في صدرها.

لكنك لو اقتربت منها وسألتها:

ـ "هل أنتِ سعيدة؟"

ستقول لك بسرعة:

ـ "نعم... أكثر من أي وقت مضى."

لأن عقلها الباطن لم يكن يسمح لها بالاعتراف بغير ذلك.

عنـدما يُحـرم الإنسـان مـن العاطفـة طـويلًا، يـتعلم آليـة دفـاع نفسية يسمونها في علم النفس:

“التسويغ العاطفي”

أي تبريـر السـلوك المـؤذي لأنـه يغطـي علـى جـوعٍ داخلـيٍ قديم.

هكذا كانت ليان تفعل دون أن تدري.

حين يرفع حسام صوته، كانت تهمس في سرها:

"إنه يتصرف هكذا لأنه يحبني بشدة."

وحـين يطلـب مـالًا بحجـة “مشـاريعه”، كانـت تعطيـه وهـي تقول:

"لا بأس... سأكون شريكته في كل شيء."

ولو سألتها صديقتها سمر:

ـ "هل أنتِ متأكدة أن هذا حب؟"

كانت تردّ بنبرة تقترب من الغضب:

ـ "أنت لا تفهمين... لا أحد يفهمنا."

فـي كـل مـرة كانـت تنطـق هـذه الجملـة، كـان صـوت صـغير في داخلها يهمس:

"بل أنتِ التي لا تريدين الفهم..."

لكنها كانت تخنق الصوت حتى يختفي.

كانت ليان، دون وعي، تمارس ما يسميه علم النفس "الإلحاح العاطفي":

تتعلق به لأنها أخيرًا وجدت شخصًا يراها، حتى لو كان يطعنها وهي لا تدري.

ولو أمعنت النظر فيها، لوجدت طفلة صغيرة تجلس خلف ابتسامتها،

طفلة تقول في صمت:

"لا تأخذوه مني... مهما فعل."

في إحدى الأمسيات، حين تأخرت عن الرد على اتصاله لأنها كانت تذاكر امتحانها، جاءها صوته في الهاتف باردًا:

- "يبدو أنك لم تعودي تهتمين."

ردّت بسرعة، وقلبها يرتجف:

- "لا... لا، أقسم لك... كنت مشغولة."

قال بنفس البرود:

- "مشغولة عني...؟"

حين أغلقت الخط، جلست تبكي ساعات طويلة.

لـم تكـن تبكـي علـى كلماتـه فقـط، بـل علـى خوفهـا مـن العـودة وحيدة، إلى ذلك الفراغ القديم.

وهـي لا تـدري أن هـذا تحديـدًا مـا جعلـه يـزداد سـطوة عليها.

علم النفس يسمي هذا "دائرة السيطرة":

يمنحك المودة ليقربك...

ثم ينتزعها فجأة لتتوسلها...

ثم يمنحها مجددًا لتظن أنه أنقذك.

وهكذا، تصبح أسيرًا في قفص يزينه لك بالوعود.

ومع الوقت، لم يعد حسام يكتفي بالسؤال واللوم.

صار يحدد ما ترتدي، متى تخرج، مع من تجلس.

في البداية، اعترضت بخجل:

- "لكنني أحب أن أكون على راحتي..."

أجابها بنبرة عتاب مؤلم:

- "أنتِ لا تعرفين كم أفكر فيك... أريدك لي وحدي."

هنا، داخلها، اهتز شيء عميق.

صوت قديم خرج من ظلال عقلها، يهمس لها بخوف:

"أهذا ما يسمى حبًا... أم تملّكًا؟"

لكنها لم تحتمل السؤال.

ولأن عقلها الباطن كان بحاجة ماسة لأي وهم يدفئها، أجابت في سرها:

"لا... هذا حب... هو فقط يحبني كثيرًا."

شيئًا فشيئًا، صارت تصدق هذا التفسير.

صارت تظن أن الألم دليل عمق العاطفة.

أن السيطرة نوع من الحماية.

أن الخوف من فقدانه يعني أنه حب حقيقي.

كانت تقول لصديقتها سمر، بصوت واهن يشبه التمني:

- "لا أحد يفهم ما بيننا... إنه فقط حساس... مجروح من علاقات قديمة."

لكنها في الليل، حين تنام وحدها، كانت تستيقظ مرات كثيرة، تتحسس وجهها في الظلام، وتقول لنفسها:

- "أين ليان القديمة؟ تلك التي كانت تحلم بأن تكون قوية...؟"

لــم تكــن تــدري أن مــن يعتــاد حرمــان الطفولــة، يختــار بنفســه أي يد تكمّل حرمانه...

حتى لو بدت يدًا حانية في البداية.

ولو أنك اقتربت منها وقتها،

ربما لمحت في عينيها سؤالًا لم تستطع مواجهته:

"هل أحببت نفسي يومًا حتى أقبل بكل هذا؟"

لكنها لم تنطق به.

لأن الجــوع العــاطفي حــين يســتقر فــي القلــب، يصــبح أقــوى من العقل...

وأقوى من أي محاولة للفرار.

لم يكن السقوط يومًا فجائيًا.

ليان لم تستيقظ ذات صباح لتجد نفسها غارقة.

بل كانت تغرق ببطء، بتنازل صغير يليه آخر،

كل مرة وهي تقول:

"فقط هذه المرة... لن أكررها."

لكنهـــا كانـــت تكـــرر، وتتنـــازل، وتصـــمت، حتـــى صـــارت لا تتذكر شكلها الأول.

في البداية، طلب منها حسام أن تعطيه بعض المال.

قالها بنبرة ثقة:

ـ "أريـــد فـــتح مشـــروع صـــغير... شـــيء بســـيط، وســـأعيد لـــك كل شيء."

ترددت.

كان عقلها الواعي يخبرها أن هذا غير منطقي.

لكن هناك شيء أعمق داخلها،

صـــوت هـــادئ، يشـــبه صـــوت أم فقـــدت كـــل شـــيء وتتمســـك بأي أمل:

"أعطيه... ربما بهذا تثبتين أنك تستحقينه."

فـــي علـــم الـــنفس، هـــذا مـــا يُعـــرف بـــالتعلق القـــائم علـــى الإثبـــات –

حيـــث تشـــعر الضـــحية أنهـــا يجـــب أن تثبـــت دومًـــا أنهـــا "جديرة بأن تُحب"،

فتمنح الآخر كل شيء، حتى حين لا يُطلب،

خوفًا من أن يعود الفراغ ليبتلعها إن فشل الحب.

وقد نجح هذا الصوت داخل ليان.

أعطته المال، وفي قلبها كانت تمنحه أكثر من ذلك:

ثقتها، أمانها، قيمتها الذاتية.

ثم بدأت الأوامر تأتي مغلفة بالحب:

ـ "لا تحضري هذا الكورس... لا أرتاح لفكرته."

ـ "لا تتكلمي مع سمر كثيرًا... أشعر أنها لا تحبنا."

ـ "هـــذا اللبـــاس لا يليـــق بـــكِ... لا أريـــدك أن تلفتـــي الأنظار."

كانت تعترض بلطف، ثم تتراجع.

وحين تسأل نفسها:

"منذ متى أصبحت لا أقرر وحدي؟"

كان خوفها من خسارته يخنق السؤال.

ففي داخلها، طفلة صغيرة كانت تصرخ:

"لا ترفعي صوتك... لا تعانديه... لا تفقديه."

هذا هو ما يفعله اضطراب التعلق القلق:

يحوّل العلاقة إلى ساحة خوف،

حيث التمسك بالشخص يصبح أهم من احترام الذات.

وفيه، لا تبحث عن من يحبك... بل عن من لا يتركك.

ومع الوقت، لم يعد حسام يخفي غضبه.

صار يتغير في نبرته، يعبس بسرعة، يصمت لساعات كعقوبة،

ثم يعود ليعتذر بقبلة على الجبين وكلمات مغرية:

ـ "أنا آسف... لكنك لا تعرفين كم ضغوط الحياة تقتلني."

وكانت تغفر.

تغفر لأنه حين يقول "أنا آسف"،

يُعيد فيها إحساسًا مؤقتًا بأنها مهمة،

وأنها مطلوبة، وأنها ليست منسيّة كما في طفولتها.

كان عقلها الواعي يُدرك الخطر.

لكن عقلها الباطني ظلّ يكرر:

"ربما لو صبرتِ أكثر، سيعود كما كان في البداية."

وهو ما يُعرف نفسيًا بـخداع الذاكرة العاطفية –

حـــين تتشـــبث الضـــحية بصـــورة البـــدايات الجميلـــة، وتلغـــي كل ما تلاها،

كأنها تحاول استحضار وهم اختفى.

وفـــي إحـــدى الليـــالي، حـــين تـــأخرت عـــن الـــردّ عليـــه، جاءهـــا إلى بيتها غاضبًا.

قال لها بصوت منخفض لكنه كالسكاكين:

ـ "هل تحاولين اللعب بي؟ تريدين إذلالي؟"

أجابت وهي تبكي:

ـ "أبدًا... كنت فقط مع أمي."

ضحك بسخرية، ثم قال:

ـ "كاذبة... أنتِ لستِ كما ظننت."

أغلقت الباب خلفه، وانهارت على الأرض.

بكت كثيرًا، لا على كلماته فقط... بل على نفسها.

كانت تدرك في عمق روحها أنها لم تعد هي.

لكن بدل أن تنهض، كتبت له في منتصف الليل:

"سامحني... أنا آسفة... لا تتركني."

لأنها ظنت أن الحياة بدونه جحيم.

ونسيت أنها منذ دخلت عالمه... تعيش الجحيم فعلًا.

في علم النفس، يسمي البعض هذا بـ"عقل الضحية المُبرمَج"–

حين يُعاد تشكيلك من الداخل لتظن أن الخطأ فيك، وأنك وحدك من يجب أن يصلح كل شيء...

حتى لو لم تكسر شيئًا.

ولو اقتربت من ليان حينها، لوجدت في عينيها هذا السؤال يتكرر بصمت:

"لماذا أقبل بهذا؟ لماذا لا أرحل؟"

لكنك لن تجد جوابًا،

لأنها صارت ترى العلاقة كـ"هوية"، لا مجرد حب.

صـــارت خطواتهـــا بطيئـــة، وصـــوتها خافـــت، وعيناهـــا تبحثان عنه في كل شيء.

وحين كانت تجلس وحدها، وتهمس في داخلها:

"لو تركني... سأموت."

لم يكن ذلك تهويلًا.

كان تصريحًا مرعبًا عن عمق التعلّق المرضي.

عن كيف أن الحب حين يُبنى على نقص...

يُنتج عبودية لا يرى أصحابها القيود.

فـــي الأســـابيع الأخيـــرة، صـــار كـــل شـــيء يضـــيق حـــول ليـــان، حتى تنفسها.

لـــم يعـــد حســـام ذلـــك الشـــاب الـــذي يكتـــب لهـــا رســـائل طويلـــة ويقول إنه لا يستطيع العيش دونها.

صار صوته جافًا، نظراته حادة كالسكاكين.

وصـــار يكـــرر عبـــارة لـــم تكـــن تعـــرف أن وقعهـــا أشـــد مـــن الصفعات:

ـ "أنتِ لا تستحقينني."

كانت تلك العبارة تضرب في قلبها أعمق مما يتخيل.

لأنها كانت تحمل رسالة خفية:

"لو تركتك... لن تجدِ أحدًا يحبك."

وصار عقلها الباطني يردد هذا التهديد كأنه حقيقة:

"هو الوحيد... حتى لو جرحك، على الأقل هو هنا."

في علم النفس يسمون هذه "ديناميكية الإذلال العاطفي"

حيث يجعل الجلاد ضحيته تشعر أنها عديمة القيمة،

ثم يقنعها أن لا أحد غيره سيقبل بها.

وهكذا، تنحني الضحية أكثر لتحتفظ بحبّ هو في الحقيقة قيد.

ذات مساء شتوي، بعد شجار طويل على سبب تافه، صرخ في وجهها:

- "أنتِ كاذبة... لا تثقين بي!"

قالها وهو يلوّح بيده في الهواء.

شعرت برعب غامض.

لم يسبق أن رأته هكذا.

رأته ينهض واقفًا ويقترب منها خطوة بخطوة.

قالت بصوت مرتعش:

- "حسام... لا تخيفني."

لكن في عينيه لم يكن سوى الغضب.

لــو كنــتَ هنــاك، للاحظــت أن وجهــه لــم يعــد يشــبه ذلــك الشاب الذي أغواها بابتساماته.

حــين خــرج مــن عنــدها تلــك الليلــة، ظلــت تجلــس علــى الأرض طويلاً،

تحاول فهم ما حدث.

تحاول أن تمسك بالخيط الذي بدأت عنده قصة تعلقها.

لكن عقلها الباطني كان ينهار تحت سؤال واحد:

"أهذه النهاية...؟"

في اليوم التالي، كتب لها رسالة مقتضبة:

"لــن أعــود حتــى تعرفــي قــدري... لــن تــري وجهــي قبــل أن تعتذري حقًا."

قرأتها وهي ترتعش.

لا لسبب واضح...

بل لأن فكرة غيابه وحدها كانت تخلع قلبها من صدرها.

هنا، في هذه اللحظة تحديدًا، انفجر صراعها الداخلي:

صوتها الأول، صوت ليان القديمة، الذي كان يقول:

"اركضي... لا تلتفتي... هذه فرصتك الأخيرة."

وصوت آخر، أكثر مراوغة، يهمس لها:

"لا تنسي كم كنتِ وحيدة قبله... لو ذهب، ستعودين إلى العدم."

في علم النفس، يسمّون هذا الصراع "الارتباط التناقضي" –

تريد الهروب، لكنك لا تحتمل الوحدة.

تريد أن تنجو، لكنك لا تعرف كيف تكون إلا مع من أسرك.

صارت ليان تشعر بشيء يشبه الإدمان.

حين يغيب، كانت تمر بأعراض الانسحاب:

ضيق في التنفس، نوبات بكاء، رجفة باردة في أطرافها.

وحين يعود، حتى وهو غاضب، كانت تشعر براحة مسمومة:

"ها هو هنا... لم يتركني تمامًا."

وفي الليل، كانت تغلق عينيها وتتخيل مشهدًا واحدًا:

أن يفتح الباب فجأة، ويعانقها، ويقول لها:

ـ "أنا آسف... أنتِ مهمة... أنا لم أقصد."

لكن كل ما كانت تجده في الواقع هو صمت هاتفها وخواء غرفتها.

قبل أسبوع من النهاية، صارت تصحو كل يوم بوجه شاحب وروح أكثر انكسارًا.

صديقتها سمر حاولت أن تنتشلها:

ـ "ليان... بالله عليكِ، غادري هذه العلاقة. انظري لنفسك... أين صرتِ؟"

لكن ليان لم تكن قادرة على الإصغاء.

كانت تمسك هاتفها وتكتب له رسائل طويلة لا تجرؤ على إرسالها،

ثم تمسحها وتقول في داخلها:

"لو رحلت عنه... سأموت."

وفي الحقيقة، كانت تموت بالفعل، لكن ببطء...

في آخر لقاء بينهما، طلب أن تذهب إليه في شقته.

قال بنبرة لم تسمعها من قبل:

ـ "لو عندك ذرة تقدير... ستأتين الآن."

لبست معطفها وخرجت.

في الطريق، كان عقلها الواعي يصرخ:

"عودي للبيت... هذا خطأ... لا تذهبي."

لكن عقلها الباطني كان يردّ بفتور:

"لو لم تذهبي، ستخسرينه للأبد."

ولم تكن تقدر على خسارته.

لأنها لم تكن تعرف كيف تعيش دون ظلّه... حتى لو صار ظلًّا يلتهمها.

وهكذا، مشت إلى آخر نقطة في طريقها...

إلى المكان الذي سينكشف فيه القناع.

وستكتشف أن الحب الذي يُبنى على النقص...

ينتهي دائمًا بانهيار لا يشبه أي شيء آخر.

دخلت ليان شقة حسام وقدماها ترتعشان.

لم تعرف لماذا، لكنها أحست أن هذا اليوم ليس ككل مرة.

كان المكان ساكنًا أكثر مما تحتمل،

وكان هو يجلس في الزاوية، لا يرفع عينيه عن الأرض.

حين أغلقت الباب خلفها، نظر إليها ببطء.

في عينيه لم تكن ترى عتابًا... بل شيئًا أقرب إلى الظلمة.

قال بصوت مخنوق:

ـ "تعالي هنا."

اقتربت، قلبها يدق بعنف،

بينما عقلها الباطني يهمس:

"عودي... اخرجي..."

لكن جسدها لم يتحرك.

حين وقفت أمامه، أمسك يدها بقوة لا تعرفها منه من قبل.

ـ "تعلمين أنك جعلتِ حياتي جحيمًا؟"

ـ "أنا... لم أقصد..."

صرخت حين شدّها نحوه بقسوة.

ـ "اسكتي."

في اللحظات التالية، بدا الزمن يتشقق حولها.

لـم تعـد تسـمع صـوته بوضـوح،لم تعـد تفهـم الكلمـات، كـل مـا كانت تعرفه أنها فقدت سيطرتها على جسدها.

وحـين حاولـت دفعـه، صـفعها صـفعة جعلـت وجههـا يـرتطم بالجدار.

ثم...

فـي اخـتلاط الظـلام والبـرد والـذهول، وقـع مـا كانـت تظـن أن قلبه لن يفعله أبدًا.

اغتصبها.

لم يكن اغتصاب جسد فقط.

كـان اغتصـابًا لكرامتهـا، لإنسـانيتها، لحلمهـا القـديم بـأن تُحَب دون خوف.

لم تصرخ.

لم تقاوم بعد الضربة الأولى.

كان عقلها قد انفصل عن جسدها،

وصـــار يراقـــب مـــا يجـــري وكأنـــه يحـــدث لفتـــاة أخـــرى لا تعرفها.

في علم النفس، يسمون هذا "الانفصال الدفاعي" –

حيث يغادر وعي الضحية اللحظة كي لا ينهار تمامًا.

حين انتهى، جلست على الأرض ترتجف.

كانت عارية إلا من خيبة عمر كامل.

لـــو اقتربـــت منهـــا تلـــك اللحظـــة، لســـمعت همســـها الأخيـــر لنفسها:

"كنت أبحث عن الحب... وانتهيت هنا."

لم يكن يريدها أن تعيش بعدها.

ربمـــا خشـــي أن تفضـــحه، أو ربمـــا شـــعر أن قتلهـــا ســـيكمل إذلالها للأبد.

ذهب إلى المطبخ، عاد بعلبة بنزين صغيرة.

سحبت أنفاسًا قصيرة، لم تصدق عينيها.

حين سكب البنزين على جسدها المرتعش،

صرخت صرخة واحدة...

ثم خنقها بكفه حتى انقطع صوتها.

حين ماتت بين يديه، لم يبدُ عليه ندم.

لفّها في بطانية، حملها إلى سيارته، قاد لساعات حتى وصل أطراف الجبل المهجور.

هناك،

في الليل الذي لم يشهد شيئًا،

أشعل النار فيها.

ظل يراقب اللهب وهو يصعد،

وكأن شيئًا لم يحدث.

في الفجر، لم يعد هناك سوى الرماد.

وجزء من ليان بَقِيَ معلقًا في الهواء،

كأنه يلوم العالم كله لأنه لم ينقذها حين كان الوقت ممكنًا.

وحين عثرت الشرطة على ما تبقى من جثتها،

لم يعرف أحد أن هذه الفتاة كانت قبل سنوات تحلم بشيء بسيط:

أن يقول لها أحد يومًا: "أنا أحبك... دون شرط."

هكذا انتهت ليان.

بيد نفس اليد التي وعدتها بالأمان.

وفي هذا العالم،

لا شـــيء أخطـــر مـــن الحـــب حـــين يـــأتي ليمحـــوك باســـم العاطفة.

ربما تظن أن حكاية ليان من نسج الخيال...

لكن في هذه قصة واقعية جرت في الوطن العربي، وفي زمن قريب، كانت هناك شابة اسمها شيماء.

شيماء لم تكن شخصية في رواية، بل إنسانة من لحم ودم، حلمت بحياة بسيطة، وحب صادق، وأمان تستحقه.

لكنها وقعت فريسة رجل وعدها بالتفاهم والاعتذار، ثم خطفها، اغتصبها، وقتلها بدم بارد، وأحرق جثتها في غابة.

هذه النهاية القاسية ليست حكاية مفبركة.

إنها تذكار مرعب بأن الحرمان العاطفي والتعلق المرضي وخداع الحب قد يتحوّل إلى عنف حقيقي ينهي حياة إنسانة إلى الأبد.

ليان في قصتي كانت صدى لكل شيماء في الواقع...

صدى لكل من ظنت أن العاطفة تبرّر الإذلال، وأن الخوف من الوحدة عذر للبقاء في علاقة تقتل الروح.

هذه الصفحة الأخيرة ليست مجرد نهاية رواية...

إنها دعوة صادقة لكل قلب يقرأ:

لا تجعلوا حاجة الحب تسلبكم إنسانيتكم.

ولا تصمتوا أمام العنف... لأن الصمت أحيانًا يقتل.

حين نعيد النظر في حياة ليان، نفهم أن نهايتها لم تكن مجرد جريمة وحشية، بل نتيجة حتمية لسلسلة من العوامل النفسية بدأت منذ طفولتها:

الحرمان العاطفي المبكر

ليان لم تسمع كلمة حب، لم تجد حضنًا يطمئنها، ولم تنل إشارات التقدير التي يحتاجها كل طفل.

في علم النفس، يُسمّى هذا "حرمان الاحتواء".

حين لا ينشأ الطفل على شعور الأمان، يترسخ في عقله الباطن أنه لا يستحق الحب، ويلازمه هذا الاعتقاد كظل لا يفارقه مهما كبر.

اضطراب التعلق القلق

في المراهقة، بدأت تبحث عمّن يملأ فراغها الداخلي.

وحين ظهر حسام، ظنت أنه المنقذ الوحيد.

لكن الحقيقة أنها لم تكن تحبه لشخصه، بل لحاجة عميقة كي لا تشعر بالوحدة.

هذا النمط يُعرف بـ"التعلق القلق"، حيث يصبح الآخر هو المصدر الوحيد للهوية، وتصبح التمسك به أولوية تتجاوز احترام الذات.

التلاعب العاطفي والسيطرة النفسية

حسام مارس ما يسميه الخبراء "ديناميكية السيطرة" :

- بدأ بالتقدير والإغواء والاهتمام.
- ثم زرع الشك واللوم والذنب.
- بعدها عزلها عن محيطها.
- وأخيرًا مارس التهديد والعنف الصريح.

هذا التدرّج لا يحدث فجأة، بل بخطوات صغيرة تجعل الضحية تفقد بوصلة الصح والخطأ.

الانفصال الدفاعي

حين تعرضت ليان للاعتداء، انفصلت عن وعيها كي تتحمل الألم.

هذا النمط يُعرف بـ"Dissociation": حالة يغلق فيها الدماغ جزءًا من الوعي حمايةً للضحية من الانهيار الكامل.

رغم قسوته، هو آلية بقاء مؤقتة.

العار والذنب

بعد كل إساءة، شعرت ليان بأنها المذنبة، وأنها لو "أحبت أكثر"، ربما تغيّر.

هذا ما يُسمى "Internalized Shame" – أي تحميل الذات مسؤولية الشر الذي ارتكبه الآخر.

وهو ما يبقي الضحية عالقة في علاقة مؤذية حتى بعد إدراك خطرها.

الموت الرمزي قبل الموت الحقيقي

ليان ماتت نفسيًا قبل موت جسدها.

فقدت كرامتها، وشخصيتها، ورغبتها في الحياة.

وفي النهاية، بقيت لأنها لم تعرف كيف تكون "شخصًا" دون وجوده.

لهذا نقول في علم النفس:

"حين يصبح الآخر هويتك الوحيدة، لا يعود لديك شيء لتحمي نفسك به."

رسالة إلى القارئ

إذا قـــرأت قصـــة ليـــان وشـــعرت أن شـــيئًا منهـــا يشـــبهك أو يشبه من تحب:

تـــــذكر أن الحـــــب لا يعنـــــي الســـــيطرة، ولا العزلـــــة، ولا الإذلال، ولا الأذى.

تذكّر أن جوع الطفولة للحنان مفهوم...

لكن لا تجعل ذلك الجوع يربطك بيد تحطمك.

إذا شـــعرت أنـــك عـــالق فـــي علاقـــة مؤذيـــة، اطلـــب المســـاعدة فورًا.

تحدث مع مختص، أو مع صديق تثق به.

ولا تنسَ أبدًا:

أنت تستحق حبًا لا يكسرك... ولا يقتلك.

للتواصل مع الكاتبة

إذا كـــان لـــديك أي تعليـــق أو رأي حـــول هـــذا الكتـــاب، أو رغبـــت فـــي مشـــاركة تجربتـــك بعـــد قراءتـــه، يســـعدني أن أسمع منك. يمكنك التواصل معي عبر:

الكاتبة بسمة :Facebook

Instagram: B.a_ecrits

YouTube: B.A_ecrits

TikTok: B.a_ecrits0

أشـــكرك علـــى وقتـــك وقراءتـــك، وأتمنـــى أن يكـــون هـــذا الكتاب قد أضاف شيئًا جميلاً إلى رحلتك.

تعلّق قاتل

حين يصبح الحب قيدًا...

ليان لم تكن تبحث عن علاقة عابرة، بل عن نجاة تشبه الحلم.
عن يد تطمئنها بأنها تستحق أن تعيش وتُحَب.
لكنها لم تدرك أن حاجتها العميقة للحنان ستقودها إلى فخّ...
فخّ يغزل خيوطه حول قلبها، حتى لم يعد لديها شيء تنقذه.

تعلّق قاتل رواية نفسية واقعية تكشف كيف ينشأ التعلّق المرضي، وكيف يتحوّل الحنين إلى أداة موت بطيء.

إذا كنت قد شعرت يومًا أنك عاجز عن الهرب من حب يؤذيك...
فهذه القصة ستلامسك وتجعلك تعيد التفكير في كل ما ظننته حبًا.

بسمة عليوش كاتبة جزائرية مهتمة بالقصص النفسية والعلاقات الإنسانية المعقدة.
تكتب لتمنح صوتًا للأرواح العالقة في الهشاشة والصمت.

@B.A_ECRITS

EBIN63-43-50-250714